الآفاق
السنة الرابعة
الـ ١٥٧
الإثنين ١٢ صفر ١٤٤٨ هـ.ق
٤ صفحات
Ofogh-e Hawzah Weekly
مركز إدارة الحوزات العلمية
المشرف: رضا رستمي
رئيس التحرير: علي رضا مكتب‌دار بمساعدة الهيئة التحريرية
هاتف: ٣٢٩٠٠٥٣٨ ٢٥ ٩٨+ • فاكس: ٣٢٩٠١٥٢٣ ٢٥ ٩٨+
ص. ب: ٣٧١٨٥/٤٣٨١
العنوان: قم، شارع جمهوري إسلامي، زقاق ٢، رقم ١٥
الموقع: www.ofoghhawzah.ir
البريد الالكتروني: info@ofoghhawzah.ir
تصميم: مرتضى حيدري آهنگري
مسئول الطبع: مصطفى اويسى • طباعة: صميم ٢١ ٤٤٥٣٣٧٢٥ ٩٨+

■ مقالة

الأربعيـــن

حينما تمضي الإنسانية إلى كربلاء

الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

تتأجج شمس الهجير فوق الطريق المؤدي إلى كربلاء، فتغدو الأرض كأنها صفحةٌ من نار، وتنساب الحرارة على الوجوه انسياب اللهيب، وتتشقّق الأقدام من وعثاء المسير، ويعلوها غبار الطريق، غير أن شيئًا من ذلك لا يفتّ في عضد السائرين

ولا يصدّهم عن غايتهم. ملايين البشر تمضي في نسقٍ واحد، لا يثنيها قيظٌ ولا يرهقها طولُ المسافة، حتى ليخيّل إلى الناظر أن الشمس نفسها قد دخلت امتحان الإرادة أمام عزيمةٍ لا تعرف الوهن... فانكسرت، وبقيت الأقدام تمضي.

وهنا يسقط منطق الحسابات المادية، فلا تُقاس المسافات بالأميال، ولا يُوزن التعب بما يخلّفه من نصب، وإنما تُقاس الرحلة بمقدار ما تُزكيه في النفس من يقين، وما تبعثه في الروح من حياة. فكل خطوة على هذا الطريق ليست حركة جسدٍ في فضاء، بل شهادة إيمان، وتجديد عهد، وإعلان صامت بأن رسالة الإمام الحسين عليه السلام ما تزال تنبض في ضمير الأمة، وأن القيم التي استشهد من أجلها لا تزال قادرة على استنهاض الإنسان كلما ادلهمت الخطوب.

ومن هنا، لم تعد الأربعين ذكرى تستعاد، ولا طقسًا موسميًا يتكرر، بل غدت زمنًا متجددًا، وميثاقًا تُسطره الأقدام قبل الأقلام، وعهدًا يُكتب على تراب الطريق قبل أن تحفظه بطون الكتب. إنها بعثٌ دائم لقيم العدل والكرامة والحرية والإصلاح، وتجديدٌ متواصل لمعنى المسؤولية الأخلاقية تجاه الإنسان، أيًا كان انتماؤه أو موطنه.

■ المواكب... حين يصبح الكرم نظامًا للحياة

وعلى امتداد الطريق تنتصب المواكب كأنها مدائن من الرحمة، أو قلاعٌ شُيّدت من المحبة وحدها. لا يُطرق بابها، لأنها تسبق الحاجة إلى السائل، ولا تُحصى موائدها، لأنها تنبع من قلوبٍ آمنت بأن خدمة الإنسان شرفٌ قبل أن تكون عملاً.

إن ما تشهده كربلاء في أيام الأربعين ليس مجرد إطعامٍ لطعام، ولا تقديمٍ لخدمة، وإنما هو تشكّلٌ فريد لاقتصادٍ أخلاقي، تتراجع فيه قوانين المنفعة لتحل محلها فلسفة الإيثار. هنا يصبح البذل ثقافة، والكرم عقيدة، والخدمة هوية، حتى يغدو الإنسان مانحًا قبل أن يُطلب منه العطاء.

وخلف هذا المشهد العظيم تقف الأسرة العراقية، وفي قلبها المرأة، بوصفها العمود الخفي لهذه الملحمة؛ فهي التي تُعدّ، وتستقبل، وتغرس في نفوس أبنائها معنى الخدمة، حتى أصبح الإيثار ميراثًا اجتماعيًا تتناقله الأجيال، لا عادةً موسمية تنقضي بانقضاء المناسبة.

■ كربلاء... حين تتجلى الإنسانية في أنقى صورها

ولعل أعظم ما يثير الدهشة أن هذه الملحمة لم تنغلق يومًا على إطارٍ مذهبي أو قومي، بل فتحت ذراعيها لكل من قصدها. فترى في هذا الفضاء الرحب وجوهًا جاءت من مشارق الأرض ومغاربها، تختلف ألسنتها وألوانها وثقافاتها، لكنها تلتقي جميعًا تحت مظلة الاحترام المتبادل، في مشهدٍ نادرٍ تتوارى فيه الهويات الفرعية أمام هوية الإنسان.

لقد تجاوزت كربلاء حدود الجغرافيا، لتغدو فكرةً، وتجاوزت حدود المناسبة، لتصبح رسالةً حضارية، مؤداها أن الإنسان حين يتحرر من نوازع التعصب، يصبح قادرًا على بناء فضاءٍ أخلاقي يتسع للجميع، دون أن يُلغي اختلافًا أو يُقصي تنوعًا.

وهنا تكمن فرادة الأربعين؛ فهي لا تقدم للعالم خطابًا عن التعايش، بل تقدم التعايش ذاته في صورته العملية، حيث يعيش الملايين تجربةً إنسانية مشتركة، تتقدم فيها القيم على المصالح، والمحبة على الانقسام.

■ من الشعيرة إلى الظاهرة الحضارية

ولذلك لم تعد الأربعين شأنًا تعبديًا فحسب، بل غدت واحدةً من أكبر الظواهر الإنسانية في العصر الحديث، تستدعي اهتمام الجامعات، ومراكز البحوث، والمؤسسات الدولية. ففيها تتجسد موضوعات إدارة الحشود، والعمل التطوعي، والاقتصاد الاجتماعي، والصحة العامة، والإعلام، والذكاء الاصطناعي، والهندسة، والاستدامة البيئية، بوصفها واقعًا حيًا لا فرضياتٍ نظرية.

لقد تحول الطريق إلى كربلاء إلى مختبرٍ إنساني مفتوح، تُختبر فيه النظريات، وتُراجع فيه المسلمات، ويُعاد من خلاله اكتشاف قدرة القيم على تنظيم المجتمعات، وصناعة الأمن، وإنتاج التكافل، من غير إكراهٍ ولا منفعةٍ مادية.

■ كربلاء وحوار الحضارات

وفي عالمٍ يزداد انقسامًا، وتتعاظم فيه خطابات الكراهية، تقف كربلاء لتقدم درسًا مختلفًا؛ إذ تجمع بين شعوب الأرض وثقافاتها في فضاءٍ واحد، دون أن يتحول التنوع إلى صراع، أو الاختلاف إلى خصومة.

ومن هنا فإن الأربعين ليست مجرد حدث ديني، بل نصّ حضاري مفتوح، يحتاج إلى أن يُقرأ بأدوات علم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، والفلسفة، والاقتصاد، والإدارة، والدراسات الثقافية، لأنها تقدم نموذجًا واقعيًا لما تعجز عن تحقيقه كثيرٌ من النظريات التي ظلت حبيسة قاعات المؤتمرات.

■ استعادة الإنسان

وفي زمنٍ أخذت فيه المادية تبتلع المعنى، وأخذت الفردانية تُضعف الروابط الاجتماعية، تأتي الأربعين لتعيد الاعتبار إلى الإنسان بوصفه قيمةً لا سلعة، وإلى المجتمع بوصفه شراكةً لا تنافسًا، وإلى الأخلاق بوصفها أساس العمران لا زينته.

إنها ليست دعوةً إلى الانغلاق، ولا خطابًا في مواجهة العالم، بل نداءٌ للانفتاح على الإنسانية من أوسع أبوابها، انطلاقًا من منظومة قيمٍ أثبتت قدرتها على الحياة، لأنها لم تبقَ حبرًا في الكتب، وإنما تحولت إلى سلوكٍ يومي تمارسه الملايين طوعًا ومحبةً وإيمانًا.

■ خاتمة

وهكذا، فإن الأربعين ليست رحلةً إلى مدينة، بل رحلةٌ إلى المعنى؛ وليست مسيرًا على طريق، بل ارتقاءٌ في مدارج الروح؛ وليست استذكارًا لماضٍ انقضى، بل صناعةٌ متجددة للمستقبل.

وستظل كربلاء، ما بقيت هذه الملايين تشق إليها الطريق تحت وهج الشمس، شاهدةً على حقيقةٍ كبرى، وهي أن الأمم لا تصنع خلودها بما تملك من قوةٍ أو ثروة، وإنما بما تختزنه من قيم. فإذا تجذرت القيم في الضمير، هان الحر، وقصرت المسافات، وانكسر الزمن، وأصبح الطريق إلى كربلاء طريقًا إلى الإنسان... حيث يولد الضمير من جديد.

المصدر: مركز كربلاء للدراسات والبحوث

فقه المقاصد...

قراءة في آفاق الاجتهاد المعاصر

قراءة تحليلية في رؤية الشيخ حسين الخشن

الآفاق- في حوار علمي نشرته مجلة «المرتقى المعرفي»، عرض سماحة الشيخ حسين الخشن رؤيته لفقه المقاصد، مبيناً أسسه الفكرية، وجذوره في التراث الإسلامي، وآثاره في تجديد الاجتهاد، وأبرز التحديات التي تعترض حضوره في الدرس الفقهي. وتقدم هذه المادة قراءة تحليلية أمينة لذلك الحوار، مع المحافظة على أفكاره الرئيسة وتسلسلها المنطقي، واختصار ما تضمنه من تكرار أو شواهد مطولة، دون إضافة آراء جديدة أو الخروج عن مضمون حديثه.

يشهد الفكر الإسلامي المعاصر اهتماماً متزايداً بفقه المقاصد بوصفه أحد المسارات القادرة على تعزيز فاعلية الاجتهاد في مواجهة التحولات المتسارعة التي يشهدها العالم. وينطلق هذا الاتجاه من الإيمان بأن الشريعة الإسلامية ليست مجموعة من الأحكام المتفرقة، بل منظومة متكاملة تقوم على غايات كبرى ومقاصد عامة ترمي إلى تحقيق مصالح الإنسان ودفع المفاسد عنه. وفي هذا الإطار، يقدّم الشيخ حسين الخشن رؤية تدعو إلى إعادة الاعتبار للبعد المقاصدي في الاجتهاد، مع التأكيد على الالتزام بالكتاب والسنة وضوابط الاستنباط المعتبرة، بعيداً عن الظنون والقياس غير المشروع.

يرى الشيخ أن فهم فقه المقاصد يبدأ بالإقرار بأن الأحكام الشرعية لم تُشرع اعتباطاً، وإنما لتحقيق مصالح حقيقية. ومن ثم فإن البحث عن مقاصد التشريع ليس أمراً خارجياً، بل هو جزء من فهم الشريعة نفسها. غير أن ذلك لا يبرر نسبة أي مقصد إلى الشريعة من دون دليل، إذ لا بد من التمييز بين المقاصد التي تثبت بالنصوص والقرائن المعتبرة، وبين التصورات الشخصية التي لا تستند إلى أساس علمي.

ويؤكد أن الاهتمام بالمقاصد يمتد إلى التراث الإسلامي، حيث يُعد الإمام أبو إسحاق الشاطبي أبرز من نظّر لهذا الاتجاه في كتاب «الموافقات»، قبل أن يتجدد الاهتمام به في العصر الحديث على يد علماء مثل محمد الطاهر بن عاشور وعلال الفاسي. أما في المدرسة الإمامية، فرغم وجود إشارات مهمة، ولا سيما عند الشهيد الأول في حديثه عن الضروريات الخمس، فإن التفكير المقاصدي لم يتحول إلى مدرسة اجتهادية متكاملة، الأمر الذي يدعو إلى مزيد من البحث والتأصيل.

ويلاحظ الشيخ أن المنهج السائد في دراسة النصوص الفقهية ركز بدرجة كبيرة على الجانب اللغوي وأدوات الاستظهار، بينما لم يحظَ البعد المقاصدي بالاهتمام نفسه. ولا يعني ذلك الاستغناء عن الدراسة اللغوية، وإنما استكمالها بالنظر إلى الغايات العامة للشريعة، حتى تُفهم النصوص ضمن سياقها الكلي، ولا تُستنبط منها نتائج تتعارض مع روح التشريع.

ويفسر الشيخ عودة الاهتمام بفقه المقاصد بجملة من الأسباب، أبرزها تعقّد الحياة المعاصرة وظهور قضايا جديدة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والطبية والسياسية، إضافة إلى أن كثيراً من أبواب المعاملات تقوم على أسس عقلائية يمكن إدراك كثير من ملاكاتها. كما أن الإيمان بأن الأحكام مبنية على المصالح والمفاسد يقتضي عدم إغلاق باب البحث عن تلك المصالح، شريطة الالتزام بالأدلة الشرعية والضوابط العلمية.

ويستند هذا التوجه إلى حضور واضح لفلسفة التشريع في القرآن الكريم والسنة الشريفة، حيث تربط نصوص كثيرة بين الأحكام وغاياتها، وتبين ما ترمي إليه من مصالح أو ما تدفعه من مفاسد. كما اشتملت الروايات على بيانات متعددة تكشف أسرار التشريع، مما يدل على أن التعليل ليس أمراً طارئاً، بل يمثل عنصراً أصيلاً في الخطاب الشرعي، ويمكن أن يشكل أساساً لتطوير الاجتهاد مع المحافظة على أصالة النصوص.

ويرى الشيخ أن أهم ثمرة لفقه المقاصد هي بناء إطار عام يحكم عملية الاستنباط، بحيث تُفهم الأحكام الجزئية في ضوء المبادئ الكلية للشريعة. فالقيم الكبرى، كالعدل وصيانة الكرامة الإنسانية وحفظ المصالح العامة، ليست مجرد توجيهات أخلاقية، بل تمثل قواعد ينبغي أن تكون حاضرة في ذهن المجتهد عند معالجة الوقائع المختلفة، بما يحقق الانسجام بين الأحكام والغايات التي شرعت من أجلها.

ويمتد أثر المقاصد إلى مجال الأحكام التدبيرية المرتبطة بالمصلحة العامة، إذ تمنح الحاكم الشرعي معايير تساعده في اختيار الوسائل المناسبة لتحقيق أهداف الشريعة وفق ظروف كل عصر، ما دام ذلك يجري ضمن الحدود الشرعية. كما أن فهم المقاصد يسهم في إدراك فلسفة التشريعات الاقتصادية والاجتماعية، ويكشف أن الغاية منها لا تقتصر على معالجة الحالات الفردية، بل تشمل تحقيق العدالة الاجتماعية وصيانة كرامة الإنسان.

ويؤكد الشيخ أن الاهتمام بالمقاصد يساعد أيضاً على تجاوز الجمود في فهم الأحكام، لأن معرفة الحكم وأسراره تعمق الالتزام الواعي بالدين، وتبرز الإسلام بوصفه مشروعاً حضارياً متكاملاً يقوم على الحكمة وتحقيق المصالح، الأمر الذي يعزز قدرة الخطاب الإسلامي على الإقناع والحوار.

وفي المقابل، يشير إلى عدد من العوائق التي حدّت من نمو التفكير المقاصدي، من أهمها النظرة التجزيئية إلى الشريعة، والتوسع في تطبيق منطق التعبد حتى في المجالات التي يغلب عليها الطابع العقلائي، إضافة إلى الخشية من أن يؤدي البحث في علل الأحكام إلى الوقوع في القياس المرفوض. إلا أنه يرى أن رفض القياس الظني لا يعني إغلاق باب البحث المنضبط عن ملاكات الأحكام في ضوء الكتاب والسنة.

وللكشف عن هذه الملاكات، يشير الشيخ إلى وسائل استعملها الفقهاء في عملية الاستنباط، منها النصوص المصرحة بعلة الحكم، وقياس الأولوية، وتنقيح المناط وإلغاء الخصوصية، وتخريج المناط، والذوق الفقهي القائم على الإحاطة بالنصوص وروح التشريع. ويرى أن هذه الأدوات، عند استخدامها وفق الضوابط العلمية، تسهم في تعزيز الاجتهاد المقاصدي دون الخروج عن الأصول المعتبرة.

ويخلص الشيخ حسين الخشن إلى أن فقه المقاصد ليس بديلاً عن أصول الفقه، ولا دعوة إلى تجاوز النصوص، بل هو بعدٌ مكمّل يربط الأحكام الجزئية بمقاصدها الكلية، ويمنح الفقه قدرة أكبر على مواكبة المستجدات مع الحفاظ على أصالته. ومن هنا، فإن نجاح هذا المشروع مرهون بالتوازن بين الالتزام بحجية النصوص والانفتاح المنضبط على المقاصد العامة للشريعة، بما يعزز حيوية الفقه الإسلامي ويؤكد صلاحيته لمعالجة قضايا العصر في إطار الكتاب والسنة والأصول المعتبرة.

شعر وقصيدة

■ يوسف سرور

أربعينية الإمام الحسين عليه السلام

حَبيبي حُسَينٌ، هجَرْتُ حيَاتِي
لأبْحثَ فيكَ عَنِ الحُسْنَيَيْنْ
تلألأَ وجْهُكَ في ناظِرَيَّ
وبَينِي وبينَكَ سبْعُونَ بَيْنْ
فصَارتْ دِمَاؤُكَ قلْباً لقَلْبِي
وأضْحَى ضِيَاكَ لعَيْنَيَّ عَيْنْ
وخِلْتُكَ في أضْلُعِي ساكناً
فَأَسْرعْتُ أجْثُو على الرُّكْبَتَيْنْ
لأشْتَمَّ منكَ رحِيقَ الفِدَاءِ
وأنْشُرَهُ بينَ ذَيْنِ وذَيْنْ
وحزْتُ... أَتَحْلُو بعَيْنِي الحَيَاةُ
قد رَضَّتِ الخَيلُ صدْرَ الحُسينْ!!
ذكرتُ مُصَابَكَ في الأرْبعينَ
فسَالتْ دُمُوعي علَى الوَجْنَتَيْنْ
وقد ظَلَّلَتْنِي قُيُودُ السَّبَايَا
فصَلَّيتُ في ظِلِّهَا رَكْعَتَيْنْ
كأنِّي بأَنَّاتِ "زَيْنَ العِبَادِ"
تبُثُّ نِدَاءَكَ في الخَافِقَيْنْ
كأنِّي بِـ "يا جَابرٌ هَا هُنا...."
تَجَلَّتْ مَآذِنَ في الأَصْغَرَيْنْ
وما زالَ صوتُكَ يحْلُو ويعْلُو
ويهتِفُ: "أينَ المُوالُونَ، أيْنْ؟
لِيَبْكُوا علَى مَصْرَعِي مَرَّةً
ويبكوا على زَيْنَبٍ مرَّتَيْنْ"!
لهَجْتُ بذِكْرِكَ يا سيِّدي
فحَانَ منَ الحُزْنِ في الرُّوحِ حَيْنْ
وحَرَّمَ جِلْدِي طُقُوسَ الوَفَاةِ
لا كَفَناً يبتَغِي أو كُفَيْنْ
وخطَّتْ دمائي حُرُوفَ الولاءِ
لأحيَا "حَبيباً"، وأحيَا "ابْنَ قَيْنْ"
بِحَاءٍ وسِينٍ وياءٍ ونونٍ
تُسَطِّرُ "بَدْراً" هُنا، أو "حُنَيْنْ"
وقَبَّلَ عَقْلِي جَبِينَ الجُنُونِ
لأَرْسُمَ "عَابسَ" في المُقْلَتَيْنْ
وأفْلَتَ قَلبِي، فلاحقْتُهُ،
فأسْرَعَ بي نحوَ قَبْرِ الحُسَيْنْ!

■ انتصاراتٌ لا يراها أحد

مقاومةُ فكرةٍ سلبية، والصبرُ عند الانكسار، وتركُ عادةٍ سيئة، واختيارُ السلام بدلَ الجدال؛ انتصاراتٌ صامتة تصنعُ شخصيتك، وإن لم تُقابَل بتصفيقٍ أو إشادةٍ من أحد.